

في هذا العدد:

- علاج الأخطاء الشائعة المتعلقة بالصلاة في ضوء مقاصد سورة البقرة: دراسة تحليلية
عتيق الله مهران فقير خان، والسيد سيد أحمد محمد نجم، ويوسف محمد عبده محمد العواضي
- العرض المقارن المقيّد بالمصدر: منهجية لتوظيف الذكاء الاصطناعي في التفسير المقارن وتطبيق تجريبي على جزء عم
محمود حمود، وعبد الغني قمر جمعة جاد الله
- Definiteness and Indefiniteness in Recurring Qur'anic Vocabulary: A Semantic and Contextual Study
Mohammed Minhaj Uddin
- Knowledge and the Foundations of Scientific Methodology in the Noble Quran
Souad Ouhab; Nacera Mamache
- نعمة معرفة الخالق وهدايتها التربوية في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية
مروة سلطان عديل الحباري، وعبد العالي باي زكوب، ويوسف محمد عبده محمد
- الصبر في مواجهة الاختلاف عند الأنبياء في القرآن الكريم: دراسة موضوعية
هرشي بولندي، والسيد سيد أحمد محمد نجم
- الأحاديث الحسنة التي أخرجها ابن حبان في صحيحه من بداية باب العفو من كتاب البر والإحسان- إلى نهاية باب الجار: جمعاً ودراسة
أروى حسن حمزة مشرف، ومهدي عبدالعزيز
- منهج الصحابة في اختيار الخليفة: دراسة تحليلية
جواد أحمد أحمد القاضي، وإبراهيم محمد البيومي
- الخواء الروحي ودوره في نزعة الانتحار: دراسة عقديّة
شداد بن خالد محمد عطية
- الدين والصحة النفسية: دراسة تأصيلية في أثر العقيدة والعبادة والأخلاق في تحقيق الاتزان النفسي
محمد خير حسن محمد العمري
- دعاوى المشركين الواردة في القرآن الكريم المتضمنة القدح في الإيمان بالله تعالى، ومنهج القرآن في الرد عليها: جمعاً ودراسة
سلطان عالي علي السفياني
- سجود الكون وتسبيحه لله عز وجل بين الوحي والمعطيات العلمية
أسماء عبد المجيد الزنادي
- الآثار القضائية لتأجيل الحكم في الفقه الإسلامي والقانون الغامبي: دراسة مقارنة
عبدالله محمد حالي، ومجدي عبد العظيم إبراهيم فرج
- تأصيل نظرية الضمان الذكي في المسؤولية المدنية عن أضرار أنظمة الذكاء الاصطناعي: دراسة فقهية تطبيقية
سعيد محمد عزيز برون
- الإمام الشوبري ومنهجه في حاشيته على تحفة الطلاب شرح التحرير للأتصاري
حسين علي جبر معيوف، ونادي قبضي
- المآلات وعلاقتها بالعلل والأسباب والشروط عند ابن تيمية: دراسة أصولية تحليلية
هشام برزنجي، وصلاح عبدالنواب
- آراء الإمام النسائي الفقهية المتعلقة بأحكام الأسرة: دراسة تحليلية
نجاة حسين عبدالرحمن باجمال، وصلاح عبدالنواب
- منهج الشيخ الإتيوبي في الترجيح بين الأدلة الشرعية المتعارضة
حسن محمد خلاوي، وصلاح عبدالنواب
- UVIF as a Computational Framework Compatible with Islamic Epistemology and Decision Philosophy
Habib Hamam
- الإدارة التنظيمية في مرحلة التمكين: قراءة تحليلية في نموذج موسي (عليه السلام) من خلال سورة يونس (الآية 87)
نجم عبد الودود نعمة الجزائري



DOI: <https://doi.org/10.63226/iisj.v10i3.6062>

سجود الكون وتسبيحه لله عز وجل بين الوحي والمعطيات العلمية

[The Prostration of the Universe and Its Glorification of Allah Almighty
between Divine Revelation and Scientific Evidence]

Asma Abdul Majeed Al-Zindani ¹

¹ Associate Professor, Department of Creed (' Aqīdah), Al-Iman College, Al-Iman University

*Corresponding Author: asma.aziz5678@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث مفهوم سجود الكون وتسبيحه لله تعالى بوصفه حقيقة قرآنية شاملة تؤكد خضوع جميع المخلوقات لإرادة الخالق، لا مجرد تعبير مجازي عابر. وتتمثل مشكلة البحث في بيان كيفية فهم سجود الكون وتسبيحه في ضوء النصوص الشرعية والمعطيات العلمية الحديثة، وتحديد العلاقة بين السجود بوصفه عبادة اختيارية وبينه بوصفه انقياداً كونياً جامعاً يشمل الجماد والنبات والحيوان والظل. ويهدف البحث إلى استجلاء هذا المفهوم في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحليل الرؤى العلمية المعاصرة التي تتقاطع معه، وتحديد العلاقة التكاملية بين الوحي والعلم. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النصوص الشرعية وأقوال المفسرين ومقارنتها بالمعطيات العلمية الحديثة في وعي النبات والمادة والسلوك الموجي. وقد جاء في سبعة مباحث تناولت سجود الجمادات والنباتات والحيوانات، وتسبيح الكون وسجوده لله، والتسبيح في اليهودية والنصرانية، ثم المؤشرات العلمية وتناغم المحراب والكون. وتوصل البحث إلى أنّ كلّ ما في السماوات والأرض يسبح ويسجد لله طوعاً أو كرهاً، وأنّ أقوال المفسرين في سجود الظلال وارتباطها بالغدوّ والأصاال تتناغم مع ما كشفه العلم الحديث من انتظام الظواهر الكونية والسلوك الموجي وتعقيد بنية الظلّ والظلام. وتكمن الإسهامة العلمية للبحث في تقديم قراءة تكاملية تجمع بين الدلالة التعبديّة والانتظام الفيزيائي، بما يعزّز اليقين بأنّ الوجود كلّ قائم في محراب العبودية لله ربّ العالمين، ويقوّي التكامل بين الوحي والمعرفة العلمية..

الكلمات المفتاحية: سجود الكون، تسبيح المخلوقات، الظلال الساجدة، الوحي والعلم، ميكانيكا الكم.

ABSTRACT

This study examines the prostration and glorification of the universe to Allah Almighty as a comprehensive Quranic reality rather than a mere metaphor. The research problem lies in clarifying how the prostration and glorification of the universe can be understood in light of both the revealed texts and modern scientific evidence, and in determining the relationship between prostration as an act of worship and prostration as a comprehensive cosmic order encompassing inanimate objects, plants, animals, and shadows. The study aims to elucidate this concept in the Qur'an and the Prophetic Sunnah, to analyze the contemporary scientific perspectives that intersect with it, and to define the integrative relationship between revelation and science. It adopts a descriptive-analytical method based on tracing the Shariah texts and the statements of the exegetes and comparing them with modern scientific data on plant and matter awareness and wave behavior. The study concludes that everything in the heavens and the earth glorifies and prostrates to Allah willingly or unwillingly, and that the exegetes' interpretations of the prostration of shadows and its association with morning and evening resonate with what modern science reveals about the regularity of cosmic phenomena, wave behavior, and the complex structure of shadow and darkness. Its scholarly contribution lies in offering an integrative reading that unites devotional meaning with physical order, thereby reinforcing the harmony between revelation and scientific knowledge..

Keyword: *Prostration of the universe, glorification of creatures, prostrating shadows, revelation and science, quantum mechanics..*

المقدمة:

الحمد لله ﷻ العظيم الشأن القائل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۝٤٨﴾ (سورة النحل، الآية: 48) آثاره أنارت العقول.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي قال: (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)¹.

أما بعد:

فلم يخلق الله سبحانه وتعالى خلقه عبثاً ولا سدى، بل جعل لكل مخلوق غاية عظيمة، فليس شيء في الوجود إلا يسبح بحمده، ولا مخلوق إلا يسجد لعظمته طوعاً أو كرهاً. وفي وقت تتصاعد فيه التصدعات المعرفية وتنتشر النظرة المادية الفاصلة بين الوحي والعلم، يقدم هذا البحث قراءة متوازنة لمفهوم “سجود الكون” بوصفه واقعاً متكاملًا، تجلٍ لخضوع جميع المخلوقات لإرادة الله، وليس مجرد استعارة بل حقيقة ذات أبعاد كونية وروحانية. وتُظهر بعض نتائج العلوم الحديثة هذا الخضوع الفطري، فتكشف عن انتظام وتناسق في خلق الكون يؤكد ارتباطه بخالقه ومدبره.

إشكالية البحث

تتمثل الفجوة العلمية في أن أكثر الدراسات تناولت التسييح والسجود من الجانب التعبدي المجرد، دون ربطهما بانقياد الكون الكلي ولا بمقارنة الدلالة الشرعية بالمعطيات العلمية الحديثة؛ ومن هذه الفجوة تنبثق الأسئلة الآتية:

- 1- كيف يمكن فهم سجود الكون في ضوء النصوص الشرعية والعلم الحديث؟
- 2- ما العلاقة بين السجود كعبادة وكمفهوم كوني؟

أهداف البحث

- 1- استجلاء مفهوم سجود الكون في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- 2- تحليل الرؤى العلمية التي تعزز هذا المفهوم أو تتقاطع معه.
- 3- تحديد العلاقة التكاملية بين الوحي والعلم.

1 مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، كتاب: الاستئذان، باب: القول إذا سمعت الرعد، (5/ 1444)، برقم: (3641)؛ والبخاري في الأدب المفرد، ص252، برقم (723)؛ وقال الإمام النووي في خلاصة الأحكام، (2/ 888): "رواه مالك في «الموطأ» بإسناده الصحيح".

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من تعلّقه بأصلٍ عظيمٍ من أصول التوحيد، وهو خضوع الكون كلّه لخالقه تسبيحًا وسجودًا، وهو موضوعٌ يمسّ اليقين والإيمان في قلب المسلم. كما تتأكّد أهميته في معالجته قضية العلاقة بين الوحي والعلم من زاويةٍ تكامليةٍ وسطيةٍ، بعيدًا عن إفراط من يجعل العلم حَكَمًا على النص، وتفريط من يقطع الصلة بينهما؛ فيسهم البحث في تقوية ثقة المسلم بأنّ حقائق القرآن الكريم لا تصادم حقائق العلم الصحيح بل تتناغم معها، ويفتح بابًا للباحثين لمزيدٍ من التأمل في آيات الله الكونية والقرآنية.

منهجية البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النصوص الشرعية وأقوال المفسرين وأهل اللغة، ومقارنتها بالمعطيات العلمية الحديثة.

وتتلخّص إجراءات البحث في: تتبّع آيات السجود والتسبيح وأحاديثهما، ثمّ جمع أقوال المفسرين وتصنيفها، ثمّ مقارنتها بالمعطيات العلمية الحديثة، ثمّ استخلاص وجوه التناغم. وأهمّ مصطلحاته: «السجود» وهو الخضوع والتذلّل، و«التسبيح» وهو التنزيه، و«الانقياد الكوني» وهو خضوع المخلوقات لأمر الله التكويني.

مصطلحات البحث:

سجود الكون: خضوع المخلوقات كلّها وانقيادها لله تعالى تسخيرًا، كلٌّ بحسبه، ويشمل الجماد والنبات والحيوان والظلال.

التسبيح: تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وإثبات كل كمال له سبحانه.

الغدوّ والآصال: الغدوّ أولُ النهار، والآصال جمعُ أصيلٍ وهو آخرُ النهار.

العالم الكمومي: عالم الجسيمات دون الذرية الذي تحكمه قوانين ميكانيكا الكم، وتسلك فيه المادة سلوكًا مزدوجًا موجيًا وجسميًا.

الدراسات السابقة

وقف الباحث على عددٍ من الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث، من أبرزها:

الدراسة الأولى: «تسبيح المخلوقات في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية» لعليّ بن عمر السحيباني، المنشورة في مجلة العلوم الشرعية بجامعة القصيم (المجلد 13، العدد 2، 1441هـ/2019م). تناولت آيات التسبيح تناولًا موضوعيًا في سبعة مباحث موزعةً بحسب المسبّحين: النبي ﷺ، وبقية الأنبياء، والملائكة،

وأهل الجنة، وخواص المسلمين، وعاقبة الخلق، والحيوانات والجمادات. وهي دراسة تأصيلية قيّمة في جانب التسبيح، غير أنها اقتصر على دون السجود، ولم تُعرض للمقاربة العلمية الحديثة.

الدراسة الثانية: «التسبيح في القرآن: دراسة موضوعية» لرفيدة محمود شوقي سرحان، المنشورة في مجلة كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان (المجلد 9، العدد 9، 2024م، ص 1-88). ركزت على المفهوم التأصيلي والتطبيقي لعبادة التسبيح وثمراتها في حياة المسلم. وهي كسابقتها منصبّة على البُعد التعبدي للتسبيح، دون ربطه بسجود الكون ولا بالمعطيات الفيزيائية المعاصرة.

الدراسة الثالثة: «صور من تسبيح الكائنات لله» لزغلول راغب النجار (القاهرة: دار نهضة مصر). عرض فيه المؤلف صوراً من تسبيح المخلوقات مقرونة بإشارات من الإعجاز العلمي. وهو عمل رائد في باب، لكنه ذو طابع تعريفي عام، لم يُفرد مسألة سجود الظلال بالغدوّ والآصال، ولم يتناول التقاطع مع مفاهيم فيزياء الظلّ والدالة الموجية وانكسار التناظر التي يعالجها هذا البحث.

ويتميّز هذا البحث عن الدراسات السابقة بجمعه بين السجود والتسبيح معاً في نسقٍ واحدٍ يشمل الجماد والنبات والحيوان والملائكة والظلال، ويفرده مسألة سجود الظلال وعلاقتها بالغدوّ والآصال بالتحليل، وبعمقه مقارنةً بين البيان القرآني والمقاربة الفيزيائية المعاصرة (كالسلوك الموجي وبنية الظلّ وانكسار التناظر ومؤشرات وعي النبات والمادة)، فضلاً عن إشارته إلى التسبيح الكوني في النصوص التوراتية؛ وهو ما لم تجتمع عليه — فيما أطلع عليه الباحث — دراسة واحدة من الدراسات السابقة.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى محورين رئيسيين: يتناول الأول الأساس القرآني والنبوي لمفهوم سجود الكون وتسبيح المخلوقات، مع عرض أبرز أقوال المفسرين. أما المحور الثاني فيناقش دلالات هذا المفهوم في ضوء بعض المؤشرات العلمية الحديثة، مع الإشارة إلى حضوره في النصوص الدينية السابقة (وذلك في سبعة مباحث: الأول سجود الجمادات وتسبيحها، والثاني وعي النباتات، والثالث كلام الحيوانات، والرابع تسبيح الكون وسجوده، والخامس السجود والتسبيح في اليهودية والنصرانية، والسادس المؤشرات العلمية، والسابع تناغم المحراب والكون)، ثم تُختتم الدراسة بأهم النتائج والتوصيات. والله أسأل أن يتقبّل هذا العمل، وأن يعفو عَمَّا وقع فيه من تقصيرٍ أو خللٍ أو زللٍ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول: سجود الجمادات وتسييحها

يتناول هذا المبحث بيان معنى السجود والتسييح لغةً واصطلاحاً، ثمّ شواهد انقياد الجمادات وتسييحها في الكتاب والسنة، تمهيداً لتقرير أنّ الخضوع سمةٌ عامّةٌ في الخلق كلّهُ.

المطلب الأول: تعريف السجود والتسييح:

الفرع الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للسجود:

المعنى اللغوي للسجود: يدل أصل مادة (س ج د) على تطامن وذل. يقال سجد، إذا تطامن. وكل ما ذل فقد سجد¹.

المعنى الاصطلاحي للسجود: قال الراغب: «السُّجُودُ أصله: التَّطَامُنُ والتَّذَلُّلُ، وجعل ذلك عبارة عن التَّذَلُّلُ لله وعبادته، وهو عامٌّ في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان:

الأول: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (سورة النجم، الآية: 62) أي: تذللوا له.

والآخر: سجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة الرعد، الآية: 15)»².

«ومنه سجود الصلاة: وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أعظم منه»³.

الفرع الثاني المعنى اللغوي والاصطلاحي للتسييح:

المعنى اللغوي: أصل مادة (س ب ح) تدل على معينين:

أحدهما: جنسٌ من العبادة، ومنه التسييح، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء.

والمعنى الآخر: جنسٌ من السعي، وهو السبح والשבّاحة، وهو العوم في الماء⁴.

المعنى الاصطلاحي للتسييح: تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وإثبات كُلِّ كَمَالٍ له سبحانه⁵.

1 ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج3، ص133، مادة (سجد).

2 الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص396، مادة (سجد).

3 ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2، ص342، مادة (سجد).

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص125، مادة (سبح).

5 مركز رواد الترجمة، موسوعة المصطلحات الإسلامية، ج2، ص239.

والملاحظ مما سبق أنَّ مادِّي (س ج د) و(س ب ح) تلتقيان في معنى الخضوع والتعظيم؛ فالسجود ذلٌّ وتطامنٌ، والتسبيح تنزيهٌ وتعظيمٌ، وبينهما تلازمٌ ظاهرٌ؛ إذ لا يسجد الخاضع إلا لمن يعظمه وينزهه.

المطلب الثاني: وعي الجمادات.

الفرع الأول: مخاطبة السماوات والأرض والجبال (الأمانة)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية: 72).

جاء في تفسير الطبري: "إنَّ الله عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقةً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه ﴿جَهُولًا﴾ بالذي فيه الحظ له"¹.

الفرع الثاني: غضب السماوات والأرض والجبال من الشرك:

قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (سورة مريم، الآيتان: 90-91).

جاء في تفسير فتح البيان: "لأنَّ الشرك فرعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت تزول منه لعظمة الله سبحانه"².

الفرع الثالث: بكاء السماء والأرض وعدم بكائهما على الكافرين

قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (سورة الدخان، الآية: 29).

جاء في تفسير الرازي: "رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابٌ: بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ رِزْقُهُ، وَبَابٌ يَدْخُلُ فِيهِ عَمَلُهُ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدَاهُ وَبُكِّيَا عَلَيْهِ»، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ عَلَى الْأَرْضِ عَمَلًا صَالِحًا فَتَبْكِي عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَصْعَدْ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ فَتَبْكِي عَلَيْهِمْ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ"³.

1 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج19، ص196.

2 القنوجي، محمد صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج8، ص203.

3 الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج27، ص660؛ والحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الدخان، برقم (3255)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، وموسى بن عبيدة وي زيد بن أبان الرقاشي يُضعفان في الحديث»، وأخرجه أبو يعلى في مسنده؛ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم (4491).

والذي يظهر أن بكاء السماء والأرض على المؤمن دون الكافر يدل على نوع إدراك وانفعال للجسمادات يليق بها، وهو شاهد على وعيها الخاص وانقيادها لأمر الله، وهو وعي بحسب كل مخلوق، لا يلزم منه مماثلة إدراك العقلاء.

الفرع الرابع: هبوط الحجارة خشيةً من الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْهَارٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية: 74).

جاء في تفسير الطبري: "وإن من الحجارة لما يهبط - أي يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته" ¹.

الفرع الخامس: سلام الحجر والشجر على رسول الله ﷺ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السَّلامُ عليك يا رسولَ الله) ².

فقوله: " (فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول) الظاهر أن عليا - رضي الله عنه - أيضا كان يسمعه، ويحتمل أنه علمه بخبره - صلى الله عليه وسلم" ³.

الفرع السادس: رجفة جبل أحد وخطاب النبي ﷺ له:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَجَفَّ بِهِمْ، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ) ⁴.

جاء في شرح سنن أبي داود: "صعد رسول الله ﷺ أحدا فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال: (اسكن أحد؛ نبي وصديق وشهيدان) والشهيدان هما: عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما" ⁵.

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص135.

2 الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم 3620، ج5، ص590، وقال الترمذي: «حسن غريب».

3 الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، ج9، ص489.

4 البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ج5، ص9، برقم (3675).

الفرع السابع: تلبية الحجر والشجر والمدر:

عن سهل بن سعد الساعدي أَنَّ رسول الله ﷺ: (ما لِيْ مُلَبِّ إِلَّا لِيْ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَفِي رَوَايَةٍ إِلَّا لِيْ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدْرٍ حَتَّى تَنْقَطَعَ الْأَرْضُ)¹.

قوله: "إِلَّا لِيْ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ"، (مَنْ) هَا هُنَا بِمَعْنَى (مَا)؛ لِأَنَّهُ يَفْسِّرُهُ بِقَوْلِهِ: "مَنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدْرٍ"، وَكُلُّ ذَلِكَ لَيْسَ بِعُقْلَاءٍ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِلْعُقْلَاءِ تَكُونُ (مَنْ) بِمَعْنَى (مَا)؛ لِأَنَّ (مَنْ) لِلْعُقْلَاءِ، وَ (مَا) لِلْجَمَادَاتِ وَاللَّحْيَوَانَاتِ غَيْرِ الْعُقْلَاءِ"².

وقوله: "تَنْقَطِعُ الْأَرْضُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا"؛ يَعْنِي: إِلَى مَنْتَهَى الْأَرْضِ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ، وَإِلَى مَنْتَهَى الْأَرْضِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ؛ يَعْنِي: يُوَافِقُهُ فِي التَّلْبِيَةِ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابَسٍ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ"³.

الفرع الثامن: حديث الشجر والحجر آخر الزمان:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْعَرَقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)⁴.

مَقْدَمَاتُ الذِّكَاءِ الْإِصْطِنَاعِي وَتَسْجِيلُ حَدِيثِ الذَّرَاتِ، وَكَذَلِكَ رَجُوعُ الْيَهُودِ إِلَى فِلَسْطِينَ "وَمَنْ تَقْدِيرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَنَّ الْأَوْرَبِيِّينَ عَرَضُوا عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَقِيمُوا دَوْلَتَهُمْ فِي أَسْتْرَالِيَا فَرَضِي بَعْضُهُمْ وَأَبَى أَكْثَرُهُمْ، وَأَصْرُوا عَلَى فِلَسْطِينَ"⁵.

المبحث الثاني: وعي النباتات وتسيحها

يَعْرَضُ هَذَا الْمَبْحَثُ نَمَازِجَ مِنْ وَعْيِ النَّبَاتِ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَيُفْرِزُ أَنَّ هَذِهِ الشَّوَاهِدَ دَالَّةٌ عَلَى حَيَاةٍ خَفِيَّةٍ وَإِدْرَاكِ يُنْقَادُ بِهِ النَّبَاتُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَهُوَ مَا يَمْهَدُ لِلْمُقَارَنَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْلَّاحِقَةِ.

5 العباد البدر، عبد المحسن بن حمد، شرح سنن أبي داود، ج3، ص520.

1 ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الفتوحات الربانية، ج4، ص358، وقال ابن حجر: «وهو صحيح».

2 المظهري، حسين بن محمود، المفاتيح في شرح المصاييح، ج3، ص271.

3 المصدر السابق، ج3، ص271.

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ج4، ص42، برقم (2926)؛ ومسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج4، ص2239، برقم (2922).

5 المغربي، السموأل بن يحيى، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص161.

المطلب الأول: وعي النباتات في السنة النبوية:

الفرع الأول: حنين جذع النخلة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أُجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؟ فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَارًا قَالَ: إِنْ شِئْتَ، قَالَ: فَعَمِلْتُ لَهُ الْمُنْبَرِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمُنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَنْهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَبْنُ أَنْبَنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكِّتُ حَتَّى اسْتَفْقَرَتْ، قَالَ: بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ¹.

وَفِي رِوَايَةِ لِأَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ: "فَأَنَّ الْجَذْعَ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا يَبْنِي الصَّبِيُّ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ هَذَا بَكَى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ" وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «فَاضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلَ الْمَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهَا فَاعْتَنَقَهَا فَسَكَتَ»².

الفرع الثاني: مشي الشجرة استجابة لأمر النبي ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ مَكَّةَ قَدْ خَضِبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ بِالْدِّمَاءِ قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: خَضَبَنِي هَؤُلَاءِ بِالْدِّمَاءِ وَفَعَلُوا وَفَعَلُوا قَالَ: تَرِيدُ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَكَانِهَا قَالَ ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكِ فَرَجَعَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَسْبِيَ)³.

الفرع الثالث: شهادة الشجرة للنبي ﷺ

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: إِلَى أَهْلِي؟ قَالَ: هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَسَلَّمُ قَالَ: هَلْ مِنْ شَاهِدٍ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَدَعَاها فَأَقْبَلَتْ تَحْتَ الْأَرْضِ خَدًّا فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ لَهُ كَمَا قَالَ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: إِنْ يَتَّبِعُونِي آتَاكَ بِهِمْ وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ"⁴.

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج4، ص195، برقم (3584).

2 ابن الملقن، عمر بن علي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار، ج4، ص622.

3 ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، ج19، ص463، برقم (12352)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح».

4 الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ج1، ص344.

تكشف هذه النصوص أن للنبات إدراكًا واستجابةً يقدرهما الله له؛ إذ حنَّ الجذع، وأجابت الشجرة، وشهدت للنبي ﷺ. وهذه المعجزات تؤكد أن الوحي قرر أصل هذه الحقيقة، وسيأتي ما يظهر أن بعض المعطيات العلمية الحديثة تلامس جوانب منها، بما يعزز السبق العلمي للوحي.

المبحث الثالث: كلام الحيوانات ودلالاته

يعرض هذا المبحث نماذج ثابتة في السنة من كلام الحيوانات وشكواها وتسييحها؛ دلالة على شمول الذكر والتسييح للمخلوقات، وأنَّ منها ما هو أكثر ذكرًا لله من بعض بني آدم.

المطلب الأول: نماذج من كلام الحيوانات في السنة:

الفرع الأول: شكوى الجمل للنبي ﷺ :

حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فإذا جَمَلٌ قد أَتاه، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ¹ فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ فجاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هو لي يا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَهَا اللَّهُ، إِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُذِئِبُهُ²).

فالجمل عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى بمالكه أنه يجيعه ويدئبه "معناه: أنه لا يطعمه، ومع ذلك يدئبه من الدأب وهو العمل عليه باستمرار وبدون غداء"³.

الفرع الثاني: كلام البقرة والذئب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ، فَقَالَ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ -وما هُما ثَم- وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَانَتْهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟! فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ذَنْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ. وما هُما ثَم⁴).

1 من ذُفْرِ البعير: هو ما بعد أذنيه، ومعنى السَّوْر: أعلاه وأسراه. ينظر: الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، ج 15، ص 64.

2 الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختارة، ج 9، ص 160؛ والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، برقم (2549)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

3 العباد البدر، شرح سنن أبي داود، ج 7، ص 302.

4 البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ج 5، ص 5، برقم (3663).

قوله: "فقال الناس: سبحان الله! بقرة تكلم!" أي: تتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلإني أؤمن به - أي: بتكلم البقرة - "أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم، أراد بذلك تخصيصهما بالتصديق اليقيني الذي ليس وراءه للتعجب"¹. اللهم اجعل لنا إيماناً كإيمان أبي بكر وعمر.

المطلب الثاني: تسبيح الحيوانات واستغفارها:

الفرع الأول: تسبيح النمل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَرَضَتْ مَلَّةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرِيَّةِ النَّمْلِ، فَأُخْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَضَتْكَ مَلَّةٌ أُخْرِقَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ!)².

الفرع الثاني: الدواب أكثر ذكراً لله من راكبها:

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ارْكَبُوا هَذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً وَلَا تَتَّخِذُوهَا كِرَاسِيًّا لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ قَرَبَ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ مِنْهُ)³.

وفي رواية بدلا من كراسي "منابر لأحاديثكم في الطرق والأسواق أي: لا تجلسوا على ظهورها ليتحدث كل منكم مع صاحبه وهي موقوفة، كجلوسكم على الكراسي للتحدث... وعلل النهي عن ذلك بقوله "قرب دابة مركوبة خير من راكبها عند الله تعالى وأكثر ذكراً لله منه" فيه أنها... تذكر الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (سورة الإسراء، الآية: 44) وأن بعضها أفضل من بعض الآدميين⁴.

الفرع الثالث: استغفار كل شيء لمعلم الخير حتى الحيتان:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَعْلَمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانُ فِي الْبَحَارِ)⁵.

"بمعنى إلهام الحيتان وغيرها من الحيوانات بالاستغفار للعالم، فقل: إنها خلقت لمصالح العباد ولمنافعهم"⁶.

1 ابن الملك، محمد بن عبد اللطيف، شرح مصابيح السنة، ج6، ص419.

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حَرَّقَ الْمُشْرِكُ الْمُسْلِمَ هَلْ يُحْرَقُ، ج4، ص62، برقم (3019).

3 أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدواب، رقم 2567، ج3، ص27، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (2567).

4 المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج1، ص590.

5 الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، برقم (3024)، وقال الألباني: «وإسناده صحيح».

6 الرملي، أحمد بن حسين بن رسلان، شرح سنن أبي داود، ج15، ص67.

تدلُّ هذه الأحاديث على أنَّ للحيوان إدراكًا وتسبيحًا بإذن الله، وأنَّه قد يفوق ركبته ذكرًا لله؛ تأكيدًا لما قرَّره القرآن من تسبيح جميع المخلوقات.

المبحث الرابع: تسبيح الكون وسجوده لله تعالى

يجمع هذا المبحث بين التسبيح والسجود في نسقٍ واحد، ويحلِّل علاقتهما بالصلاة والزمن (الغدو والآصال)، ليؤسِّس لقراءة سجود الكون قراءةً كليَّة.

المطلب الأول: علاقة التسبيح بالصلاة والسجود:

الفرع الأول: إطلاق اسم التسبيح على الصلوات الخمس:

ذكرت أوقات الصلوات الخمس في القرآن مقترنة بالتسبيح، منها قوله تعالى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ جِئْنَ تُمْسُونَ وَجِئْنَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَجِئْنَ تُظْهِرُونَ﴾ (سورة الروم، الآيتان: 17-18).

جاء في تفسير الطبري: يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له ﴿جِئْنَ تُمْسُونَ﴾، وذلك صلاة المغرب، ﴿وَجِئْنَ تُصْبِحُونَ﴾، وذلك صلاة الصبح ... ﴿وَعَشِيًّا﴾ يقول: وسبحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر ﴿وَجِئْنَ تُظْهِرُونَ﴾ يقول: وحين تدخلون في وقت الظهر. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.⁽¹⁾

الفرع الثاني: التسبيح في بيوت الله (بالغدو والآصال):

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة النور، الآية: 36).

جاء في تفسير الطبري: "عن ابن عباس، في قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ يعني: كل مسجد يصلي فيه، جامع أو غيره"⁽²⁾.

الفرع الثالث: تسمية الصلاة (سبحة):

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيْتُ رسولَ الله ﷺ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا)⁽³⁾.

الفرع الرابع: التسبيح صلاة كل شيء:

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص95.

2 المصدر السابق، ج19، ص204.

3 مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، ج1، ص497، برقم (718).

ارتبط لفظ التسييح بالصلاة لجميع الكائنات، قال الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النور، الآية: 41).

وفي حديث عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية، أمرُك باثنتين وأماك عن اثنتين، أمرُك ب (لا إله إلا الله)،... وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق الخلق...) ¹.

المطلب الثاني: سجود الكون لله تعالى

الفرع الأول: سجود من في سماوات والأرض:

قال الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (سورة الحج، الآية: 18).

أخبر سبحانه بسجود من في السماوات والأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؛ وهو في غير المكلفين خضوع وانقياد لله كل بحسبه، ويدخل في سجود التسخير الذي قرره الراغب الأصفهاني ².

الفرع الثاني: سجود الظلال:

وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُومًا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْنَانِ﴾ (سورة الرعد، الآية: 15).

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَوَّضُونَ ظِلَّهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية: 48).

ومعنى سجود الظلال: ميلانها ودورانها وانقيادها بتصرف الله لها كيف شاء؛ وقد فسّر الطبري (طوعًا) بالطائع المؤمن، و(كرهاً) بظل الكافر³، وسيأتي تفصيل أقوال المفسرين في سجود الظل ودلالاته في المبحث السابع

1 الألباني، السلسلة الصحيحة، برقم (134)، ج1، ص259، وقال الألباني: «وإسناده صحيح».

2 ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص396، مادة (سجد)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص216.

3 ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص566؛ والماوردي، النكت والعيون، ج3، ص191.

الفرع الثالث: سجود الملائكة

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: 206).

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الملائكة في صلاتهم فقال: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء، وحقق لها أن تقط، ما فيها موضع قدم أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله...)¹.

فالملائكة دائبون على العبادة والسجود بلا فتور، وفيه إشارة إلى ذم من استكبر من المكلفين عن السجود؛ إذ إن السماء كلها محراب ساجد.

الفرع الرابع: دعوة الإنس والجن للسجود والعبادة:

قد أخبرنا الله تعالى أنه ما أوجدنا إلا لعبادته فقط، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات، الآية: 56).

جاء في تفسير ابن كثير: "أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم"، ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: "إلا ليقرؤا بعبادتي طوعاً أو كرهاً"، وهو اختيار ابن جرير²؛ فالعبادة هي الغاية التي خلق لها الثقلان، وما سواهما من الخلائق مسخر ساجد مسبح لله تعالى بحسبه.

ولذلك أول بيت بني على وجه الأرض كان الكعبة المشرفة، لعبادة الله عندها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 96).

الفرع الخامس: سجود الحيوانات والنباتات والجمادات:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية: 49).

وسجود هذه الدواب والملائكة سجود خضوع وانقياد وتذلل لعظمته سبحانه، كل بما يليق به؛ قال القرطبي: "يُجْعَلُ لِلظَّلَالِ عَقُولٌ تَسْجُدُ بِهَا وَتَخْشَعُ بِهَا، كَمَا يُجْعَلُ لِلْجِبَالِ أَفْهَامٌ حَتَّى خَاطَبَتْ وَخُوطِبَتْ"³.

(أ) سجود النباتات: سجود الشجر:

1 الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، برقم (3931)، وقال الحاكم: «صحیح الإسناد».

2 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص425.

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص216.

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (سورة الرحمن، الآية: 6).

وسجود النجم والشجر: خضوعهما وانقيادهما التام لأمر الله فيهما ولما سخرهما له؛ وهو من سجود التسخير المتقدم بيانه في تقسيم الراغب¹.

(ب) سجود الجمادات: سجود الشمس تحت العرش:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: (أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة يس، الآية: 38))².

فهذا الحديث يثبت للشمس سجودًا حقيقيًا تحت العرش يليق بها، الله أعلم بكيفيته؛ وهو صريح في أن السجود الكوني أوسع من الصورة المعهودة في الأذهان، وأن لكل مخلوق سجودًا بحسبه.

المطلب الثالث: تسبيح الكون لله تعالى:

الفرع الأول: تسبيح السماوات والأرض وكل شيء:

يخبر الله تعالى في عدد من الآيات بأن جميع ما خلق من كائنات تسبحه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا﴾ (سورة الإسراء، الآية: 44).

جاء في تفسير السعدي: «﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ بلسان الحال ولسان المقال. ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب»³.

وفي الحديث: عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما تستقل الشمس⁴ فيبقى شيء من خلق الله إلا سبّح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين، وأغبياء بني آدم)⁵.

1 ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص396، مادة (سجد).

2 البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، ج4، ص107، برقم (3199).

3 السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص459.

4 المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج5، ص436، وقال في «ما تستقل الشمس»: أي ترتفع وتعالى.

5 الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع، برقم (5599)، ج2، ص980، وقال الألباني: «حسن».

الفرع الثاني: تسبيح الملائكة:

لا كبر ولا فتور في التسبيح لله عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآيتان: 19-20):

لا يسمعون من دوام التسبيح لله عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۚ﴾ (سورة فصلت، الآية: 38):

الفرع الثالث: تسبيح الجمادات (الطعام/ الجبال/ الرعد/ الحصى):

تسبيح الطعام.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (... كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ، فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الطَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ¹.

تسبيح الجبال مع داود عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة سبأ، الآية: 10).

(عن ابن عباس: {أَوْبَى مَعَهُ} قال: سَبَّحَ مَعَهُ)².

تسبيح الرعد.

قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَخَالِ﴾ (سورة الرعد، الآية: 13).

وفي الأثر: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ وَقَالَ سُبْحَانَ الَّذِي يَسْبِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)³.

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج4، ص194، رقم (3579).

2 ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف، ج11، ص559؛ والطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج19، ص220، من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وله طريق ثانٍ عنده، وبمعناه عن مجاهد وقتادة والضحاك.

تسبيح الحصى.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ فِي يَدِهِ حَصِيَّاتٍ، فَسَمِعَ لَهْنَ تَسْبِيحَ كَحْنِينَ النحل)¹.

"فسبحن في يده، بأن قلن: بسبحان الله، حتى سمع لهن حنين: تصويت (كحنين) تصويت (النحل)"². تؤكد نصوص هذا المبحث أن التسبيح والسجود الكونيين حقيقتان شاملتان لجميع المخلوقات، وأن الكون بأسره في عبادة دائمة لربه. وما خفاء كيفية هذا التسبيح عن الإنسان إلا قصور في إدراكه.

المبحث الخامس: السجود والتسبيح في اليهودية والنصرانية

يرصد هذا المبحث حضور السجود والتسبيح الكونيين في النصوص التوراتية والإنجيلية؛ مما يشهد لوحدة أصل الوحي في تقرير خضوع المخلوقات كلها لخالقها سبحانه.

المطلب الأول: سجود الجمادات في التوراة.

جاء ذكر سجود الجمادات في التوراة على لسان داود عليه السلام في سفر المزامير [الزبور]: "كُلُّ الْأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتُرْتَمُّ لَكَ. تُرْتَمُّ لاسْمِكَ"³.

أمّا التسبيح فقد ذكر في كثير من النصوص التوراتية والإنجيلية، فيما يلي بيانها:

المطلب الثاني: التسبيح الكوني في النصوص التوراتية والإنجيلية

الفرع الأول: تسبيح السماوات والأرض والبحار:

يقول داود عليه السلام في الزبور: "تُسَبِّحُهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، الْبَحَارُ وَكُلُّ مَا يَدْبُ فِيهَا"⁴.

الفرع الثاني: تسبيح الشمس والقمر والكواكب:

يقول داود عليه السلام في الزبور: "سَبِّحِيهِ يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ."⁵

3 العيني، محمود بن أحمد، العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص413، وقال العيني: «وإسناده صحيح».

1 ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص76.

2 الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج6، ص496.

3 سفر المزامير، 66: 4.

4 المرجع السابق، 69: 34.

5 سفر المزامير، 148: 3.

الفرع الثالث: تسيح الأرض والجبال والتلال:

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "لِتُبَارِكِ الْأَرْضُ الرَّبَّ، لِتُسَبِّحَ وَتَرْفَعَهُ إِلَى الدُّهُورِ".¹

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ أَتَيْتُهَا الْجِبَالُ وَالتَّلَالُ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".²

الفرع الرابع: تسيح الينابيع والبحار والأنهار.

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ أَتَيْتُهَا الْبَحَارُ وَالْأَنْهَارُ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".³

الفرع الخامس: تسيح الحيتان والطيور والوحوش والبهائم.

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ أَتَيْتُهَا الْحَيْتَانُ وَجَمِيعُ مَا يَتَحَرَّكُ فِي الْمِيَاهِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".⁴

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ يَا جَمِيعَ طُيُورِ السَّمَاءِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".⁵

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".⁶

الفرع السادس: تسيح النجوم والأمطار والرياح والبروق والسحب:

وفي تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ يَا نُجُومَ السَّمَاءِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".⁷

جاء في تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الْأَمْطَارِ وَالْأَنْدَاءِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ. بَارِكِي

الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الرِّيَّاحِ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ. بَارِكَا الرَّبَّ أَيُّهَا النَّدَى وَالْجَلِيدُ، سَبِّحَا وَارْفَعَا إِلَى الدُّهُورِ".⁸

جاء في تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكِي الرَّبَّ أَتَيْتُهَا الْبُرُوقُ وَالسُّحُبُ، سَبِّحِي وَارْفَعِيهِ إِلَى الدُّهُورِ".⁹

1 المرجع السابق، 1: 74.

2 المرجع السابق، 1: 75.

3 المرجع السابق، 1: 78.

4 المرجع السابق، 1: 79.

5 المرجع السابق، 1: 80.

6 المرجع السابق، 1: 81.

7 المرجع السابق، 1: 63.

8 المرجع السابق، 1: 64-65.

9 المرجع السابق، 1: 73.

الفرع السابع: تسبيح النار والحر والبرد والندى والجليد والليل والنهار:

جاء في تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكَا الرَّبَّ أَيُّهَا النَّارُ وَالْحَرُّ، سَبِّحَا وَارْفَعَا إِلَى الدُّهُورِ. بَارِكَا الرَّبَّ أَيُّهَا الْبَرْدُ وَالْحَرُّ، سَبِّحَا وَارْفَعَا إِلَى الدُّهُورِ. بَارِكَا الرَّبَّ أَيُّهَا الصَّقِيعُ وَالتَّلْجُ، سَبِّحَا وَارْفَعَا إِلَى الدُّهُورِ" ¹.

جاء في تنمة سفر النبي دانيال: "بَارِكَا الرَّبَّ أَيُّهَا اللَّيْلُ وَالتَّهَارُّ، سَبِّحَا وَارْفَعَا إِلَى الدُّهُورِ" ².

يظهر من هذه النصوص أنَّ تقرير السجود والتسبيح الكونيين ليس خاصاً بالقرآن الكريم، بل هو ميراث الوحي كلّهُ؛ مما يشهد بوحدة المصدر الإلهي للرسالات. غير أنَّ البيان القرآني امتاز بالشمول والإحكام: فقرّر عموم التسبيح لكل شيء، وقدر سجود الظلال بالغدو والآصال، وهو ما لم تبلغه النصوص السابقة تفصيلاً؛ فكان القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتب، مصديقاً لما فيها من الحق.

المبحث السادس: سجود المخلوقات بين الدلالة الشرعية والمؤشرات العلمية

يستعرض هذا المبحث مؤشرات علمية معاصرة حول وعي النبات والمادة، ويقارنها بالدلالة الشرعية، مع التنبيه إلى أنَّ هذه المؤشرات ظنيّة متطورة لا يُبنى عليها قطع، وإنّما تُذكر للاستئناس وبيان عدم المصادمة.

المطلب الأول: مؤشرات علمية حول وعي النباتات:

الفرع الأول: الوعي والإدراك في النباتات:

في بحث بعنوان -الوعي والإدراك في النباتات - قام به كلا من ميغيل سيغوندو أورتين من جامعة أوترخت، و باكو كالفو من جامعة مورسيا، جاء فيه مايلي: "عادة ما تعتبر النباتات كائنات غير معرفية. ومع ذلك ، فإن هذا الرأي يتعارض مع مجموعة متزايدة من الأبحاث التجريبية التي تظهر أن العديد من القدرات المعرفية المتطورة التي يفترض تقليدياً أنها حصرية للحيوانات تعرضها النباتات أيضاً.

ومع ذلك ، إذا كان من الممكن اعتبار النباتات معرفية ، حتى بمعنى بسيط ، فهل يمكن اعتبارها واعية أيضاً؟ يدافع بعض المؤلفين عن أن البحث عن وعي النبات يستحق المتابعة ، على أساس أن الوعي يمكن أن يلعب دوراً في تسهيل السلوك المتطور للنبات. ³

1 المرجع السابق، 1: 66-70.

2 المرجع السابق، 1: 71.

Segundo-Ortin, M. & Calvo, P., "Consciousness and cognition in plants," WIREs Cognitive Science, 13(2), 2022. 3

الفرع الثاني: "علم الأعصاب النباتي" وإشارات النبات:

في بحث آخر تحت عنوان: **بيولوجيا الأعصاب النباتية**: عرض متكامل لإشارات النبات، جاء فيه: "علم الأعصاب النباتي هو مجال يركز حديثاً على أبحاث بيولوجيا النبات ويهدف إلى فهم كيفية معالجة النباتات للمعلومات التي تحصل عليها من بيئتها للتطور والازدهار والتكاثر على النحو الأمثل. يتم تنسيق السلوك الذي تظهره النباتات عبر الكائن الحي بأكمله من خلال شكل من أشكال نظام الإشارات والاتصالات والاستجابة المتكامل"¹.

الفرع الثالث: تجارب التخدير على النباتات وحدود الاستدلال:

في دراسات بعنوان: **التجارب الجديدة الراديكالية التي تشير إلى وعي النباتات**. أجراها باكو كالفو في جامعة مورسيا عام 2022، تم تطبيق مواد مخدرة مثل إيثر ثنائي الإيثيل أو الليدوكائين على جذور نبات الميموزا (*Mimosa pudica*) والفينوس فلاي تراب (Venus flytrap). أدى ذلك إلى توقف الاستجابات الحركية للنباتات، مثل طي الأوراق أو إغلاق الفخ، بالإضافة إلى قمع النشاط الكهربائي المقاس بأقطاب كهربائية. يُقترح تفسير هذا كدليل محتمل على إحساس أو وعي نباتي، مشابه لتأثير التخدير على الحيوانات، لكن التجارب تُعتبر أولية ومثيرة للجدل، حيث قد تعكس مجرد تعطيل للإشارات الكهربائية دون دليل على تجربة ذاتية حقيقية"².

المطلب الثاني: مؤشرات حول "وعي الجمادات:

الفرع الأول: أطروحة شيوع الوعي في الواقع:

يرى بعض الفلاسفة وعلماء الوعي المعاصرين أن الوعي ليس خاصية مقتصرة على الدماغ البشري، بل هو سمة أساسية في الواقع نفسه. يقول الفيلسوف الفيزيائي فيليب غوف إن الوعي هو خاصية أساسية في كل المادة، وأن المادة ليست "ميتة" بل تحتوي على شكل أولي من الوعي (Goff, 2019). كما يدعم ديفيد تشالمرز هذا الاتجاه بأن الوعي يمكن أن يكون جزءاً أساسياً من قوانين الطبيعة (Chalmers, 2022)³.

في بحث بعنوان: **فكرة أن كل شيء من الملاحق إلى الحجارة واعية تكتسب مصداقية أكاديمية**.

1 Brenner, E. D. et al., "Plant neurobiology: an integrated view of plant signaling," Trends in Plant Science, 11(8), 2006.

2 Segundo-Ortin, M. & Calvo, P., "Consciousness and cognition in plants," WIREs Cognitive Science, 13(2), e1578, 2022.

3 Goff, P., *Galileo's Error: Foundations for a New Science of Consciousness*, Pantheon Books, 2019.

جاء فيه: "الوعي يتخلل الواقع. بدلا من أن تكون مجرد سمة فريدة من نوعها للتجربة الذاتية البشرية، فهي أساس الكون، الموجود في كل جسيم وكل المادة المادية".¹

الفرع الثاني: الوعي كشكل من أشكال المادة/الطاقة:

في بحث آخر تحت عنوان: الوعي كشكل من أشكال المادة.

جاء فيه: "الوعي نفسه هو شكل آخر من أشكال المادة...، الوعي هو أحد أشكال الطاقة، إلى جانب الطاقة الحركية أو الطاقة الكهربائية".²

والتحقيق أن أبحاث وعي النبات وشيوع الوعي في المادة لا تزال في نطاق الفرضيات، فيُستأنس بما فيها من مؤشرات تتوافق إجمالاً مع ما قرره الوحي من إدراك المخلوقات وتسبيحها، مع بقاء الوحي هو الأصل المهيمن.

المبحث السابع: تناغم المحراب والكون بين البيان القرآني والمقاربة الفيزيائية

يعقد هذا المبحث موازنةً بين البيان القرآني في الظل والظلال وبين المقاربة الفيزيائية الحديثة للحركة الاهتزازية وبنية الظلام؛ لإبراز أوجه التناغم بين آيات التنزيل وسنن التكوين.

الحركة الاهتزازية المتكررة:

من أعماق الذرة إلى مجرات السماء، يتحرك الكون بإيقاع منتظم وجميل.

1. أمثلة:

الأرجوحة:

تتحرك ذهاباً وإياباً بانتظام. ومع وجود ضوء الشمس المائل، تظهر ظاهرة بصرية تابعة للحركة الأولى، وهي الظل المتحرك على الأرض.

هذا الظل ليس مجرد بقعة مظلمة، بل هو انعكاس دقيق يتبع حركة الأرجوحة تماماً في سرعتها واتجاهها وتوقيتها بنفس الإيقاع.³

• بندول الساعة:

1 غولدهيل، أوليفيا (Olivia Goldhill)، «فكرة أن كل شيء من الملاعق إلى الحجارة واعٍ تكتسب مصداقية أكاديمية»، Quartz، 27 يناير 2018.

2 McGinn, C., "Consciousness as a Form of Matter," in Basic Structures of Reality, Oxford, 2011; and Penrose, R. & Hameroff, S., "Consciousness in the universe," Physics of Life Reviews, 11, 2014.

3 OpenStax, University Physics, Vol. 1, 15.4 "Pendulums."

يتأرجح يمينا ويسارا بدقة، فينتج ظلًا يتحرك على الجدار بالسرعة والانتظام نفسيهما¹.

• الزنبرك:

يصعد ويهبط بانتظام، وظله يرسم نفس الشكل الموجي الجبي تحت إضاءة مائلة، تمامًا كالأرجوحة والبندول².

• أطوار القمر:

يزداد الجزء المضيء ثم ينقص خلال الشهر القمري، فيرسم منحني يشبه الموجة³.

2. الحركة الاهتزازية المتكررة في أعماق الكون:

• الكواكب:

تدور حول الشمس في مدارات، ولو نظرنا إليها من الجانب (أي إسقاط الحركة) فإنها تبدو كحركة موجية⁴.

• الثقوب السوداء:

عندما تدور ثقبان أسودان يولدان موجات (رُصدت 2015)⁵.

• نسيج الفضاء:

يتموج مثل سطح الماء. وقد تم الرصد التجريبي (2015) ليؤكد أن نسيج الزمكان ذاته قادر على حمل الموجات⁶.

1 المرجع السابق.

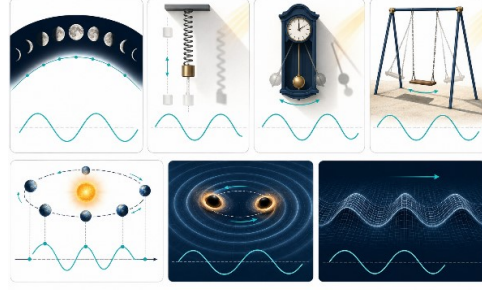
2 المرجع السابق، "Simple Harmonic Motion." 15.1

3 OpenStax, *Astronomy 2e*, Ch. 3 "Lunar Phases"; and Meeus, J., *Astronomical Algorithms*, 2nd ed. 3

4 Bahcall, J. N. & Bahcall, S., "The Sun's motion perpendicular to the galactic plane," *Nature*, 316, 1985.

5 Abbott, B. P. et al. (LIGO/Virgo), "Observation of Gravitational Waves from a Binary Black Hole Merger," *Physical Review Letters*, 116, 5061102, 2016.

6 Einstein, A., "Über Gravitationswellen," *Sitzungsberichte der Preußischen Akademie der Wissenschaften*, 1918.



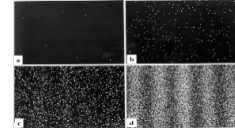
لكن القصة لم تنتهِ هنا.

3. الحركة الاهتزازية المتكررة في العالم الكمومي (أصغر شيء)

كل جسيم (مثل الإلكترون) له "ظل موجي" يسمى الدالة الموجية.

والمفارقة أننا لا نرى الجسيم أثناء رحلته، ولا نرى ظله الموجي؛ كلاهما خفي عن أعيننا.

تجربة الشقين الشهيرة:



في تجربة الشقين الشهيرة:

• يُطلق الجسيمات (الإلكترون) واحدة تلو الأخرى.

• كل جسيم يصطدم في نقطة واحدة.

مع تراكم آلاف النقاط، تظهر المفاجأة: النقاط ترسم معًا نمط موجة متكامل¹.

بنية الظلال الناتجة عن المادة:

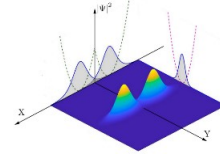
نعتقد عادة أن الظل أو الظلام هو مجرد غياب للضوء. لكن في الفيزياء الحديثة، بدأت تظهر أن بعض الأنماط المظلمة مرتبطة بالمادة ولها بنية داخلية منظمة.

1. Tonomura, A. et al., "Demonstration of single-electron buildup of an interference pattern," American Journal of Physics, 57, 1989.

1. الظلال في موجات المادة (انعدام الكثافة):

تتصرف الجزيئات الكبيرة أحياناً كموجات (موجة دي بروي)¹. عند تداخل هذه الموجات، تنشأ مناطق انعدام كثافة (مظلمة) حيث تتلاشى المادة ظاهرياً. هذه المناطق ظلال أو بنى مرافقة تنشأ بسبب سلوك المادة². أجرى فريق البروفيسور Markus Arndt في جامعة فيينا تجارب على جزيئات كبيرة جداً (أكثر من 10,000 وحدة كتل ذرية) ورصد هذه المناطق المظلمة بدقة³.

2. الظلال المستقرة في المادة الباردة:



المكثف البوزي (Bose-Einstein Condensate) هو: حالة خاصة من المادة في برد شديد جداً حيث تتصرف مجموعة كبيرة من الذرات كموجة واحدة كبيرة⁴.

داخل هذه الموجة الكبيرة توجد مناطق مظلمة تقل فيها كثافة الذرات. تُسمى السوليتونات المظلمة (Dark Solitons) وتعني: مناطق ظلال صغيرة مستقرة تتحرك بسرعة ثابتة وتحافظ على شكلها⁵.

3. الظلام الهندسي في المواد الطوبولوجية⁶.

عند كسر التناظر في المواد الطوبولوجية، تنشأ نقاط مظلمة (مثل نقاط وايل) حيث تنعدم الكثافة. هذه النقاط ليست المادة، بل بنى ظليلة مستقرة محمية بهندسة المادة⁷.

4. الدراسة التجريبية الأولية:

1 موجة دي بروي: اقترح لويس دي بروي (Louis de Broglie) سنة 1924م أن لكل جسيم مادي سلوكاً موجياً، فتتصرف المادة كموجة في بعض الحالات مع بقائها مادة.

2 Arndt, M. & Hornberger, K., "Testing the limits of quantum mechanics," Nature Physics, 2014; and Fein, Y. Y. et al., "Quantum superposition of molecules beyond 25 kDa," Nature Physics, 2019.

3 Eibenberger, S. et al., "Matter-wave interference with particles selected from a molecular library," Physical Chemistry Chemical Physics, 3, 15, 2013.

4 Denschlag, J. et al., "Generating solitons by phase engineering of a Bose-Einstein condensate," Science, 2000; and Theocharis, G. et al., "Ring dark solitons," Physical Review Letters, 2003.

5 Burger, S. et al., "Dark Solitons in Bose-Einstein Condensates," Physical Review Letters, 83, 1999.

6 داخلها لا تتحرك الكهرباء، لكن على قشرتها الخارجية تسري بقوة وثبات. جائزة نوبل في الفيزياء 2016، مُنحت إلى David J. Thouless، J. Michael Kosterlitz و Duncan M. Haldane.

7 Armitage, N. P. et al., "Weyl and Dirac semimetals in three-dimensional solids," Reviews of Modern Physics, 2018; and Hasan, M. Z. & Kane, C. L., "Topological insulators," Reviews of Modern Physics, 2010.

وللتحقق من بعض الجوانب الفيزيائية المتعلقة بموضوع الظلال، أجرينا دراسةً تجريبيةً أوليةً في مختبر (MoKA) بجامعة جيزة التقنية في تركيا، على انعكاس الليزر من سطح السيليكون، وقد جاءت نتائجها الأولية متوافقةً ومؤيدةً لما انتهى إليه هذا البحث. ونظرًا إلى أن عرض منهجية التجربة ونتائجها التفصيلية يخرج عن نطاق هذه الدراسة، فسيُفرد لها بحثٌ مستقل يُنشر في مجلةٍ علميةٍ متخصصة في الفيزياء إن شاء الله.

الخلاصة:

الأنماط المظلمة في الفيزياء ليست المادة نفسها، بل تنشأ عند انعدام وجود المادة داخل السلوك الموجي للمادة. بنية منظمة ومستقرة، قريبة من مفهوم موجة دي برولي لكنها تمثل الجانب الظليل غير المادي المباشر.

التناغم بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية

التناغم الأول: الظل ممتد ومتحرك، والضوء دليل عليه

يقول الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (سورة الفرقان، الآيات: 45-47).

تبين الآيات أن الظل ليس مجرد ظاهرة بصرية عابرة، بل حالة ممتدة لها تحقق في عالم المشاهدة. وقد عبّر القرآن بدقة حين جعل الشمس ﴿دليلاً﴾ على الظل لا منشئة له، أي أنها تُظهره وتكشف حدوده ودرجاته.

أكد الرازي في مفاتيح الغيب أن الظل ليس أمراً عديمًا محضاً بل هو وجودي¹.

وبين الإمام الزمخشري في الكشاف هذا الارتباط العضوي بقوله: «لولا الشمس لما عُرف الظل؛ لأنَّ الأشياء إنما تُعرف بأضدادها، والشمس هي التي تظهره وتكشفه للحس»².

وهو ما أكدته القرطبي أيضاً بأن النور هو الذي يُظهر معنى الظل ويبرزه³. ثم تعقب الآية ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾، و"القبض": في اللغة جمع المنبسط وانزواؤه⁴. و"يسيراً" أي هيناً/خفياً على القول الصحيح⁵ فالظل يُجمع وينحسر تدريجياً بسهولة وخفاء.

1 الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 74.

2 الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 3، ص 285.

3 القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 36-37.

4 البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 3، ص 370.

5 السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، ج 4، ص 22.

التناغم العلمي: يتطابق هذا الفهم عند بعض المفسرين مع الفيزياء الحديثة؛ فالظل بنية ممتدة متطاولة، والأصل فيه الحركة والتبدل التدريجي لا السكون المطبق¹.

التناغم الثاني: ميل التناظر وميل الظلال (عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ):

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية: 48).

أولاً: تُفتتح الآية ببناءٍ معرفيٍّ صريح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، وهو يفيد حثَّ المخاطب على إعمال النظر والبصيرة فيما سيذكر بعده.

ثانياً: يأتي عمومُ الخلق في قوله: ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ حيث يُعدُّ لفظُ «شيء» في الاستعمال العربي من أعمِّ الألفاظ، إذ يُطلق على كل موجود متحقق يمكن تصوُّره والإخبار عنه، سواء كان حسيًّا أو معنويًّا².

ثالثاً: يأتي الفعل القرآني ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ للدلالة على الرجوع والانتقال، ومنه سمي الظل "فَيًّا" لرجوعه من جانب إلى جانب³. قال التعالي في تفسيره: "فمِلاها ودورانها من موضع إلى موضع سجودها، والفيء: الرجوع، قال تعالى: ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات، الآية: 9)"⁴.

رابعاً: "شيء" مفرد و"ظلاله" جمع. من الالفت في الآية أنَّ الله تعالى عبَّر عن الموجود بلفظ مفرد: شيء، ثمَّ أسند إليه: ظلاله بصيغة الجمع، مما يوحي بتعدد الامتدادات من الظلال التابعة للكيان الواحد.

خامساً: اليمين مفرد، الشمائِل جمع، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ وهذا غير الظل الشمسي (غرباً وشرقاً)، فالظلُّ المرئيُّ المألوف - الناتج عن ضوء الشمس - يُرى غالباً ممتداً جهة الغرب صباحاً وجهة الشرق مساءً، ويقصر عند الظهيرة وفق موقع المكان بالنسبة لخط الاستواء⁵. لكن المذكور في الآية يمينا وشمائِل.

لاحظ المفسرون التمايز بين ورود "اليمين" مفرداً و"الشمائِل" جمعاً. وبناءً على ذلك، ذهب الكلبي إلى أن هذا الوصف لا يستقيم - على الظلِّ المرئيِّ المعتاد - مع حضور الشمس؛ إذ لا يتحقق اجتماع "اليمين"

1 Eibenberger, S. et al., "Matter-wave interference with particles selected from a molecular library with masses exceeding 10000 amu," 1 Physical Chemistry Chemical Physics, 15, 2013.

2 القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج2، ص251.

3 الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص233، مادة (فيا).

4 الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج16، ص52.

5 Schroeder, D. V., Understanding Astronomy: The Sun and the Seasons, Department of Physics, Weber State University, 2010-2011.

و"الشمالك" على هذا النحو إلا في عدم وجود الشمس. وقد نقل يحيى بن سلام هذا المعنى في تفسيره للآية الأولى بقوله: «وقال الكلبي: ولا يكون ذلك في ساعةٍ إلا قبل طلوع الشمس وبعد غروبها»¹.

التناغم العلمي: في الفيزياء، تُوصف بنية الظلام بأنها اتجاهية غير متناظرة ولها خاصية يدوية (يمينية ويسارية/الكيرالية). وحين ينكسر التناظر بين طرفين متماثلين، تتولد "تفردات" (نقاط) مظلمة وتتفرع بكثافة وتميل لجهة بعينها². فجاء الأفراد في الآية مواكبا لمرجع المنطلق الموحد، والجمع مواكبا لتشتت البنية المظلمة وتفرعها عند كسر التناظر.

التناغم الثالث: تقلب الظلال زمنياً (بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ):

يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (سورة الرعد، الآية: 15).

الغدو والأصال في اللغة:

جاء في لسان العرب: (الغدو): أصل الغدو...والجمع: الغدوات³. و"الغدو" مصدرٌ لا يجمع عادةً⁴. وكلمة (أصال): جمع أصل، فهو على هذا جمع الجمع⁵.

التناغم العلمي: كسر التناظر الزماني في فيزياء الكم

في موجات المادة، يظهر كسر التناظر الزماني بوضوح في السوليتونات المظلمة (dark solitons) - مناطق مظلمة داخل الموجة لها شكل وسرعة- حيث يكون الانحدار نحو هذه المناطق (decay) أسرع وأكثر تعقيداً من الارتداد في بعض الحالات⁶. هذا يتناغم مع وصف القرآن لـ"الغدو" (مفرد) و"الأصال" (جمع).

بنية الانقياد الكوني: السجود الإجباري للظلال:

تكشف آيات القرآن الكريم عن حقيقة كونية مذهلة، وهي أن الظلال تسجد لله سجوداً إجبارياً يمثل قمة الخضوع والانقياد للقوانين الإلهية، حتى وإن كان صاحب الظل كافراً أو ممتنعاً عن السجود.

1 يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، ج1، ص67.

2 Burger, S. et al., "Dark Solitons in Bose-Einstein Condensates," Physical Review Letters, 83, 1999.

3 ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج11، ص20، مادة (غدا).

4 الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص397.

5 المصدر السابق، ج1، ص115.

Tounli, J., & Sanz, Á. S., "Bohmian analysis of dark solutions in interfering Bose-Einstein condensates," Results in Physics, 63 (2024), 6.107859

أقوال المفسرين في سجود الظل:

أولاً: آية النحل:

الطبري: المسجود المذكور هو "ظلال الأشياء" ¹. **القرطبي:** "يُجْعَلُ لِلظَّلَالِ عَقُولٌ تَسْجُدُ بِهَا وَتَحْشَعُ بِهَا، كَمَا جُعِلَ لِلْجِبَالِ أَفْهَامٌ حَتَّى خَاطَبَتْ وَخُوطِبَتْ" ². ونُقل عن **مجاهد:** "سجود كل شيء فيه" ³. ويؤكد ختام الآية ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ معنى الصَّغار والخضوع، وقد جاء عن **الماوردي** تقريرٌ بليغٌ في أن الظلَّ يسجد بحاله، بينما قد يتخلف الإنسان عن السجود بالفعل ⁴.

ومثلها آية الرعد:

فسر الطبري: (طوعاً) الطائع المؤمن، و(كرهاً) ظل الكافر ⁵، و**الرازي:** "الكافر يسجد لغير الله وظلّه يسجد لله" ⁶، و**الماتريدي:** «في جميع الخلائق جعل الله في خلقه كل شيء دلالة وحدانيته وآية ألوهيته وربوبيته» ⁷.

وتفتح الآية الكريمة في سورة الرعد باباً عميقاً للتأمل العلمي والقرآني. فهي تذكر سجود ظلال **﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، مع أن الشمس المعهودة لا توجد في السماوات العليا.

هذا يشير إلى أن المقصود ليس الظل التقليدي الناتج عن ضوء الشمس، بل بنى مرافقة ملازمة للمادة وسلوكها — سواء في العالم الكومومي ⁸ أو الكوني — تسجد وتنقاد لأمر الله بطبيعتها.

وهكذا يكشف العلم الحديث عن تعقيد بنية الظل والظلام، بما يلفت النظر إلى دقة الأوصاف القرآنية للظلال وتنوعها وحركتها. وما لمسناه إنما هو شعاع من معرفة أذن الله بها **دون إحاطة تامة؛** فعلم الإنسان قليل متغير، وعلم الله محيط تام: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (سورة البقرة، الآية: 255)، ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ

1 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص217.

2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص216.

3 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص454.

4 الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، ج3، ص191.

5 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص566.

6 الرازي، مفاتيح الغيب، ج19، ص26.

7 الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، ج6، ص322.

8 العالم الكومومي: عالم الجسيمات دون الذرية (كالإلكترون والفوتون) الذي تحكمه قوانين ميكانيكا الكم، وتسلط فيه المادة سلوكاً مزدوجاً موجياً وجسيمياً. ينظر: Arndt, M. & Hornberger, K., "Testing the limits of quantum mechanics," Nature Physics, 2014.

الْعِلْمُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية: 85). فالوحي أحاط بما لم تبلغه النظريات، وما هذا التناغم العميق إلا قيس يثبت للمؤمن أن آيات التنزيل وآيات التكوين خرجتا من مشكاة واحدة، وفوق الجميع: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف، الآية: 76).

الخاتمة:

تبين من هذا البحث جملة من الحقائق، وتوصلت الباحثة إلى عددٍ من النتائج والتوصيات، بيّنها فيما يأتي:

أولاً: النتائج:

1. تبين أن سجود الكون وتسبيحه لله تعالى حقيقة شرعية ثابتة تشمل جميع المخلوقات، وقد أكدت السنة النبوية هذا المعنى، مع بيان أن السجود ينقسم إلى سجود اختيارٍ للمكلفين وسجود تسخيرٍ لسائر المخلوقات.
2. كشفت المعطيات العلمية الحديثة عن مؤشراتٍ تتعلق بإدراك النبات وبُنى الظل والظلام، وهي نتائج يُستأنس بها، وتتوافق في دلالتها الإجمالية مع ما قرّره الوحي، دون أن تكون حاكمةً عليه.
3. خلص البحث إلى أن العلاقة بين الوحي والعلم علاقة تكاملٍ لا تعارض؛ فالوحي هو الأصل المهيمن، والعلم الصحيح يكشف جانباً من سنن الله في الكون، بما يعزّز اليقين بوحدة مصدر آيات التنزيل وآيات التكوين.

ثانياً: التوصيات:

1. التوسع في الدراسات التكاملية بين آيات الوحي وآيات الكون، وفق ضوابط علمية ومنهجية دقيقة.
2. إفراد موضوع سجود الظلال والغدو والآصال بدراسات تفسيرية ولغوية وعلمية متخصصة.
3. تعزيز التعاون بين الباحثين في العلوم الشرعية والطبيعية، مع ضبط الاستدلال، والتمييز بين الحقائق العلمية والفرضيات.

وختاماً، فإن الوجود كله قائم في محراب العبودية، مسبّحاً لله تعالى تسبيحاً لا ينقطع، حتى في دار الخلد: ﴿دَعَاَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ (سورة يونس، الآية: 10). فسبحان من سجد له الكون وأسلم، والحمد لله رب العالمين.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

- [1] . Abbott, B. P., et al. (LIGO/Virgo) (2016). "Observation of Gravitational Waves from a Binary Black Hole Merger." Physical Review Letters, 116, 061102.
- [2] Abū Dāwūd, Sulaymān b. al-Ash'ath, Sunan Abī Dāwūd, (Beyrūt: al-Maktaba al-'Aşriyya).
- [3] Al-'Abbād al-Badr, 'Abd al-Muḥsin b. Ḥamad, Sharḥ Sunan Abī Dāwūd, (al-Riyāḍ: Maktabat al-Ma'ārif).
- [4] Al-Albānī, Muḥammad Nāşir al-Dīn, Silsilat al-Aḥādīth al-Şaḥīḥa wa-Silsilat al-Aḥādīth al-Ḍa'īfa wa-Şaḥīḥ al-Jāmi' al-Şaghīr, (al-Riyāḍ: Maktabat al-Ma'ārif).
- [5] Al-Aşfahānī, al-Ḥusayn b. Muḥammad al-Rāghib, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān, (Dimashq: Dār al-Qalam, 1st ed, 1992).
- [6] Al-'Aynī, Maḥmūd b. Aḥmad, al-'Alam al-Hayyib fī Sharḥ al-Kalim al-Ṭayyib, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya).
- [7] Al-Baghawī, al-Ḥusayn b. Mas'ūd, Ma'ālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur'ān, (al-Riyāḍ: Dār Ṭayba, 4th ed, 1997).
- [8] Al-Bukhārī, Muḥammad b. Ismā'īl, al-Adab al-Mufrad, (Beyrūt: Dār al-Bashā'ir al-Islāmiyya, 3rd ed, 1989).
- [9] Al-Bukhārī, Muḥammad b. Ismā'īl, al-Jāmi' al-Şaḥīḥ (Şaḥīḥ al-Bukhārī), (Dār Ṭawq al-Najāt, 1st ed, 2001).
- [10] Al-Dahlawī, 'Abd al-Ḥaqq b. Sayf al-Dīn, Lama'āt al-Tanqīḥ fī Sharḥ Mishkāṭ al-Maşābīḥ, (Dimashq: Dār al-Nawādir, 1st ed, 2012).
- [11] Al-Dhahabī, Muḥammad b. Aḥmad, Tārīkh al-Islām wa-Wafayāt al-Mashāḥīr wa-al-A'lām, (Beyrūt: Dār al-Kitāb al-'Arabī, 2nd ed, 1993).
- [12] Al-Ḍiyā' al-Maqdisī, Muḥammad b. 'Abd al-Wāḥid, al-Aḥādīth al-Mukhtāra, (Beyrūt: Dār Khidr, 3rd ed, 2000).
- [13] Al-Ḥākim al-Naysābūrī, Muḥammad b. 'Abd Allāh, al-Mustadrak 'alā al-Şaḥīḥayn, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1st ed, 1990).
- [14] Al-Kitāb al-Muqaddas (al-'Ahd al-Qadīm): Sifr al-Mazāmīr; wa-Tatimmat Sifr Dāniyāl (Nashīd al-Fitya al-Thalātha).
- [15] Al-Maghribī, al-Samaw' al b. Yaḥyā, Badhl al-Majhūd fī Ifḥām al-Yahūd, (Dimashq: Dār al-Qalam, 1st ed, 1989).
- [16] Al-Manāwī, Muḥammad 'Abd al-Ra'ūf, Fayḍ al-Qadīr Sharḥ al-Jāmi' al-Şaghīr, (Mişr: al-Maktaba al-Tijāriyya al-Kubrā, 1st ed, 1937).

- [17] Al-Māturīdī, Muḥammad b. Muḥammad, Ta'wīlāt Ahl al-Sunna, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed, 2005).
- [18] Al-Māwardī, ‘Alī b. Muḥammad, al-Nukat wa-al-‘Uyūn, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya).
- [19] Al-Muẓhirī, al-Ḥusayn b. Maḥmūd, al-Mafātīḥ fī Sharḥ al-Maṣābīḥ, (al-Kuwayt: Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu’ūn al-Islāmiyya, 1st ed, 2003).
- [20] Al-Nawawī, Yaḥyā b. Sharaf, Khulāṣat al-Aḥkām fī Muhimmāt al-Sunan wa-Qawā‘id al-Islām, (Beyrūt: Mu’assasat al-Risāla, 1st ed, 1997).
- [21] Al-Qinnawjī, Muḥammad Ṣiddīq Ḥasan Khān, Faṭḥ al-Bayān fī Maqāṣid al-Qur’ān, (Ṣaydā-Beyrūt: al-Maktaba al-‘Asriyya, 1st ed, 1992).
- [22] Al-Qurṭubī, Muḥammad b. Aḥmad, al-Jāmi‘ li-Aḥkām al-Qur’ān, (al-Qāhira: Dār al-Kutub al-Miṣriyya, 2nd ed, 1964).
- [23] Al-Ramlī, Aḥmad b. Ḥusayn b. Ruslān, Sharḥ Sunan Abī Dāwūd, (al-Fayyūm: Dār al-Falāḥ, 1st ed, 2016).
- [24] Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad b. ‘Umar, Mafātīḥ al-Ghayb (al-Tafsīr al-Kabīr), (Beyrūt: Dār Ihya’ al-Turāth al-‘Arabī, 3rd ed, 2000).
- [25] Al-Rāzī, Muḥammad b. Abī Bakr, Mukhtār al-Ṣiḥāḥ, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed, 1995).
- [26] Al-Sa’dī, ‘Abd al-Raḥmān b. Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān, (Mu’assasat al-Risāla, 1st ed, 2000).
- [27] Al-Sam’ānī, Maṣṣūr b. Muḥammad, Tafsīr al-Qur’ān, (al-Riyāḍ: Dār al-Waṭan, 1st ed, 1997).
- [28] Al-Ṭabarī, Muḥammad b. Jarīr, Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl Āy al-Qur’ān, (al-Qāhira: Dār Hajar, 1st ed, 2001).
- [29] Al-Ṭaḥāwī, Aḥmad b. Muḥammad, Sharḥ Mushkil al-Āthār, (Beyrūt: Mu’assasat al-Risāla, 1st ed, 1994).
- [30] Al-Tha‘labī, Aḥmad b. Muḥammad, al-Kashf wa-al-Bayān ‘an Tafsīr al-Qur’ān, (Dār al-Tafsīr, 1st ed, 2015).
- [31] Al-Tirmidhī, Muḥammad b. ‘Īsā, al-Jāmi‘ (Sunan al-Tirmidhī), (Miṣr: Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 2nd ed, 1975).
- [32] Al-Zamakhsharī, Maḥmūd b. ‘Umar, al-Kashshāf ‘an Ḥaqā’iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl, (Beyrūt: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 3rd ed, 1987).
- [33] Al-Zarqānī, Muḥammad b. ‘Abd al-Bāqī, Sharḥ al-Zarqānī ‘alā al-Mawāhib al-Ladunniyya, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed, 1996).
- [34] Armitage, N. P., et al. (2018). "Weyl and Dirac semimetals in three-dimensional solids." *Reviews of Modern Physics*.

- [35] Arndt, M., & Hornberger, K. (2014). "Testing the limits of quantum mechanics." *Nature Physics*.
- [36] Bahcall, J. N., & Bahcall, S. (1985). "The Sun's motion perpendicular to the galactic plane." *Nature*, 316, 706-708.
- [37] Brenner, E. D., Stahlberg, R., Mancuso, S., Vivanco, J., Baluska, F., & Van Volkenburgh, E. "Plant neurobiology: an integrated view of plant signaling." (PubMed: 16843034).
- [38] Burger, S., et al. (1999). "Dark Solitons in Bose-Einstein Condensates." *Physical Review Letters*, 83, 5198.
- [39] Chalmers, D. J. (2022). "Idealism and the Mind-Body Problem." In *The Routledge Handbook of Idealism and Immaterialism*.
- [40] de Broglie, L. (1924). *Recherches sur la theorie des quanta (matter-wave hypothesis)*.
- [41] Denschlag, J., et al. (2000). "Generating solitons by phase engineering of a Bose-Einstein condensate." *Science*.
- [42] Eibenberger, S., et al. (2013). "Matter-wave interference with particles selected from a molecular library with masses exceeding 10000 amu." *Physical Chemistry Chemical Physics*, 15, 14696-14700.
- [43] Einstein, A. (1918). "Über Gravitationswellen." *Sitzungsberichte der Königlich Preußischen Akademie der Wissenschaften*, 154-167.
- [44] Fein, Y. Y., et al. (2019). "Quantum superposition of molecules beyond 25 kDa." *Nature Physics*.
- [45] Goff, P. (2019). *Galileo's Error: Foundations for a New Science of Consciousness*. Pantheon Books.
- [46] Goldhill, O. (2018). "The idea that everything from spoons to stones is conscious is gaining academic credibility." *Quartz*, 27 Jan 2018.
- [47] Hasan, M. Z., & Kane, C. L. (2010). "Colloquium: Topological insulators." *Reviews of Modern Physics*.
- [48] Ibn Abī Shayba, 'Abd Allāh b. Muḥammad, *al-Muṣannaf fī al-Aḥādīth wa-al-Āthār*, (al-Riyāḍ: Maktabat al-Rushd, 1st ed, 1989).
- [49] Ibn al-Athīr, al-Mubārak b. Muḥammad, *al-Nihāya fī Gharīb al-Ḥadīth wa-al-Athar*, (Beyrūt: al-Maktaba al-ʿIlmiyya, 1979).
- [50] Ibn al-Malak, Muḥammad b. ʿIzz al-Dīn ʿAbd al-Laṭīf, *Sharḥ Maṣābīḥ al-Sunna*, (Idārat al-Thaqāfa al-Islāmiyya, 1st ed, 2012).
- [51] Ibn al-Mulaqqin, ʿUmar b. ʿAlī, *al-Badr al-Munīr fī Takhrīj al-Aḥādīth wa-al-Āthār*, (al-Riyāḍ: Dār al-Hijra, 1st ed, 2004).

- [52] Ibn Fāris, Aḥmad b. Fāris b. Zakariyyā, Maqāyīs al-Lughā, (Beyrūt: Dār al-Fikr, 1979).
- [53] Ibn Ḥajar al-‘Asqalānī, Aḥmad b. ‘Alī, al-Futūḥāt al-Rabbāniyya ‘alā al-Adhkār al-Nawawiyya.
- [54] Ibn Ḥanbal, Aḥmad b. Muḥammad, Musnad al-Imām Aḥmad, (Beyrūt: Mu’assasat al-Risāla, 1st ed, 2001).
- [55] Ibn Kathīr, Ismā‘īl b. ‘Umar, Tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīm, (al-Riyād: Dār Ṭayba, 2nd ed, 1999).
- [56] Ibn Manẓūr, Muḥammad b. Mukarram, Lisān al-‘Arab, (Beyrūt: Dār Ṣādir, 3rd ed, 1994).
- [57] Mālik b. Anas, al-Muwatṭa’ (ed. Muḥammad Muṣṭafā al-A‘zamī), (Abū Ḍabī: Mu’assasat Zāyid b. Sulṭān, 1st ed, 2004).
- [58] Markaz Ruwwād al-Tarjama, Mawsū‘at al-Muṣṭalahāt al-Islāmiyya, (IslamHouse.com).
- [59] McGinn, C. "Consciousness as a Form of Matter." In Basic Structures of Reality, Oxford Academic.
- [60] Meeus, J. Astronomical Algorithms, 2nd ed., Willmann-Bell.
- [61] Muslim b. al-Ḥajjāj al-Naysābūrī, al-Musnad al-Ṣaḥīḥ (Ṣaḥīḥ Muslim), (Beyrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī).
- [62] OpenStax. Astronomy 2e, Ch. 3 "Lunar Phases."
- [63] OpenStax. University Physics, Vol. 1, sec. 15.1 "Simple Harmonic Motion" & sec. 15.4 "Pendulums."
- [64] Penrose, R., & Hameroff, S. (2014). "Consciousness in the universe: A review of the Orch OR theory." Physics of Life Reviews, 11, 39-78.
- [65] Schroeder, D. V. (2010-2011). Understanding Astronomy: The Sun and the Seasons. Dept. of Physics, Weber State University.
- [66] Segundo-Ortin, M., & Calvo, P. (2022). "Consciousness and cognition in plants." WIREs Cognitive Science, 13(2), e1578. <https://doi.org/10.1002/wcs.1578>
- [67] Theocharis, G., et al. (2003). "Ring dark solitons." Physical Review Letters.
- [68] Tonomura, A., et al. (1989). "Demonstration of single-electron buildup of an interference pattern." American Journal of Physics, 57, 117.
- [69] Tounli, J., & Sanz, Á. S. (2024). "Bohmian analysis of dark solutions in interfering Bose–Einstein condensates: The dynamical role of underlying velocity fields." Results in Physics, 63, 107859. <https://doi.org/10.1016/j.rinp.2024.107859>
- [70] Yaḥyā b. Sallām al-Taymī, Tafsīr Yaḥyā b. Sallām, (Beyrūt: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed, 2004).

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	‘	فَأَرْ	fārun
أ	(a,i,u)	أَحْكَام	aḥkām
ب	b	بَابُ	bābun
ت	t	تَمْرٌ	tamr
ث	th	ثَلَاثُ	thalātha
ج	j	جَبَلٌ	Jabal
ح	ḥ	حَدِيثٌ	ḥadīth
خ	kh	خَالِدٌ	khālīd
د	d	دِينٌ	dīn
ذ	dh	مَذْهَبٌ	madhhab
ر	r	رَاهِبٌ	rāhib
ز	z	زَكِيٌّ	zakī
س	s	سَلَامٌ	salām
ش	sh	شَرَبٌ	sharaba
ص	ṣ	صَدْرٌ	ṣodrun
ض	ḍ	ضَارٌ	ḍār
ط	ṭ	طَهْرٌ	ṭahura
ظ	ẓ	ظَهْرٌ	ẓohr
ع	‘	عَبْدٌ	‘abdun
غ	gh	غَيْبٌ	ghayb
ف	f	فَاتِحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبَسٌ	qabas
ك	k	كِتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيْلٌ	layl
م	m	مُنِيرٌ	munīr
ن	n	نِقَابٌ	niqāb
و	w	وَعَدٌ	wa ^c ada
هـ	h	هَدَفٌ	hadaf
ي	y	يُوسُفُ	Yūsuf

b. Short Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ	a	كَتَبَ	kataba
اِ	i	عَلِمَ	‘alima
اُ	u	عُلِبَ	ghuliba

c. Long Vowel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
اَ ، اِ ، اِوْ	ā	عَالَمٌ ، فَتَى	‘ālam , fatā
اِي	ī	عَلِيمٌ ، دَاعِي	‘alīm , dā‘ī
اُو	ū	عُلُومٌ ، اُدْعُو	‘ulūm , ‘ud‘ū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَوْ	aw	أَوْلَادٌ	aulād
أَيَّ	ay	أَيَّامٌ	ayyam
إِيَّ	iy	إِيَّكَ	iyyāka